

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ

الدرس : 3 - سورة الحجر - تفسير الآيات 16 - 19

28-11-1986

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين، اللهم لا علم لنا إلا ما علمتنا، إنك أنت العليم الحكيم، اللهم علمنا ما ينفعنا، وانفعنا بما علمتنا وزدنا علماً، وأرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه، واجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه، وأدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين .

أيها الإخوة المؤمنون، مع الدرس الثالث من سورة الحجر، وصلنا في الدرس الماضي إلى قوله تعالى :

﴿ وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا مِّنَ السَّمَاءِ فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ(14) لَقَالُوا إِنَّمَا سُكَّرَتْ أَبْصَارُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَّسْحُورُونَ(15) وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَرِيَّاهَا لِلنَّاظِرِينَ ﴾

العلاقة بين الآيتين :

فما العلاقة بين هاتين الآيتين؟ الآية الأولى كما فسرت في الدرس الماضي أن الله سبحانه وتعالى يقول: لو أن الله عز وجل فتح لهؤلاء الكفار المعاندين باباً من السماء فظلوا فيه يعرجون في السماوات السبع، ومن خلال عروجهم في السماوات السبع، ورأوا آيات الله كلها :

﴿ لَقَالُوا إِنَّمَا سُكَّرَتْ أَبْصَارُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَّسْحُورُونَ(15) ﴾

خرق نظام الكون لا يفيد الكافر في شيء :

إنَّ خرق نظام الكون لا يفيد الكافر شيئاً، المعجزات التي تعتمد على خرق لنظم الكون لن تحمل الكافر الذي أصر على كفره، والذي أراد أن ينقاد لهوى نفسه لن تحمله على الإيمان، ما الذي يحمله على الإيمان؟ أن يفكر في خلق السماوات والأرض ابتداءً .
فالعلاقة بين الآيتين :

﴿ وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَرِيَّاهَا لِلنَّاظِرِينَ ﴾

وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَرِيَّاهَا لِلنَّاظِرِينَ

بدل أن تطلبوا الملائكة، أو أن تعرجوا في السماء، أو أن يعود الميت حياً فيتكلم، بدل أن تطلبوا النبي عليه الصلاة والسلام بالمعجزات فكروا في خلق السماوات والأرض، الطريق أن تفكر في ملكوت

السموات والأرض، في الكون آلاف المعجزات خلق السماوات والأرض معجزة، وحسبك الكون معجزة .

فربنا عز وجل يقول :

﴿ وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا ﴾

دورة الأرض حول الشمس :

كلكم يعلم أن الأرض تدور حول نفسها في أربع وعشرين ساعة تقريباً تدور دورة واحدة، والأرض تدور حول الشمس في ثلاثمائة وخمسة وستين يوماً وربع، هذه الأرباع تجتمع فتكون السنة الكبيسة، يعني يكون شباط تسعةً وعشرين يوماً، والأرض لها دورات كثيرة حول نفسها، وحول الشمس، ومحورها المائل يدور حول نفسه في كل خمسة وعشرين ألف سنة دورة، وفي أثناء دورته يشكل أقواساً صغيرة، كل قوس يستغرق ثمانية عشر عاماً، وهذا المحور المائل تتغير درجة ميلانه من أربع وثلاثين إلى اثنتين وعشرين درجة في كل أربعين ألف سنة مرة، ودورة الأرض حول الشمس تشكل مستوى، هذا المستوى يدور حول نفسه في كل ألف ومئة عام دورة، وهناك دورات لا تعد ولا تحصى .
يعيننا من هذه الدورات دورة الأرض حول الشمس، في كل شهر يظهر لسكان الأرض برج من الأبراج، فربنا عز وجل يقول في سورة أخرى :

﴿ وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ ﴾

(سورة البروج)

الانتقال من برج إلى برج :

هذه السماء الدنيا التي نحن بصدها حينما تدور أرضنا حول الشمس تنتقل عبر دورتها من برج إلى برج، فهناك برج الحمل، وبرج الثور، وبرج الجوزاء، والسرطان، والأسد، والسنبلة، والميزان، والعقرب، والقوس، والجدي، والدلو، والحوت، سميت هذه الأبراج بهذه الأسماء لأن هذا البرج يشبه العقرب، وهذا البرج يشبه الثور، وهذا البرج يشبه الحوت، وهذا البرج يشبه الميزان، فربنا عز وجل قال :

﴿ وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ ﴾

لو أن الإنسان له إمام بالفلك، أو له رغبة في تحديد الأبراج لعرفها من خلال بعض الكتب، بعض الكتب ترسم لك البرج، وأنت ما عليك إلا أن تنظر إلى قبة السماء في الشهر الفلاني فتري البرج كما صوره القدماء بهذا الشكل الذي سموه به .

فربنا عز وجل جعل السماء ذات أبراج، والأرض تدور حول الشمس، وتمر على هذه الأبراج برجاً
برجاً في كل شهر برج .

ما هي الأبراج؟

وبعضهم قال: الأبراج هي المجموعة الشمسية، عطارد، والزهرة، والشمس، والمريخ، والمشتري،
وزحل، هذه النجوم التي تشكل مجموعها المجموعة الشمسية، عطارد، يومه ثمانية وثمانون يوماً من
أيام الأرض، يدور حول نفسه في ثمانية وثمانين يوماً، لو أن الأرض كذلك، يعني أن النهار أربع
وعشرون ساعة ضرب ثمان وثمانين ماذا نفعل طوال النهار؟ كم مرة سوف ننام؟ كيف ننظم حياتنا؟ من
يعمل ومن لا يعمل؟

عطارد يومه ثمانية وثمانون يوماً أرضياً، الزهرة يومها غير معروف، لكن سنتها مئتان وأربعة
وعشرون يوماً، أما المريخ فسنته ستة وثمانية وثمانون جزءاً بالمئة، حوالي سنتين تقريباً، المشتري
يومه تسع ساعات، وسنته أحد عشر عاماً، إلى أن يدور المريخ حول الشمس دورة يستغرق أحد عشر
عاماً، وزحل يومه عشر ساعات، وسنته تسعة وعشرون عاماً، أورانس يومه عشر ساعات، وسنته
أربعة وثمانون عاماً، فإذا قام إنسان أربعة وثمانين عاماً على أورانس يحصل هناك ربيع واحد، وصيف
واحد، وشتاء واحد، وخريف واحد فقط، إذا عاش أربعين سنة يقول : ما رأيت ربيعاً، بل سمعت به .
هذا من فضل الله علينا، وليبتون يومه خمسة عشر يوماً، وسنته مئة وأربعة وستون عاماً، وأما بلوتون
فسنته مئتان وثمانية وأربعون عاماً، وهي مدة دورة هذا النجم حول الشمس .

بعضهم قال: الأبراج هي نجوم المجموعة الشمسية، وبعضهم قال: بل هي الأبراج المعروفة التي
عرفها الفلكيون من قبل وصوروها، وسموها بأسماء مشابهة للحيوانات التي سميت بها، ربنا عز وجل
قال :

﴿ وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّاهَا لِلنَّاظِرِينَ ﴾

الزينة مبدأ مطرد في الخلق :

الزينة مستهدفة من قبل الله عز وجل .

﴿ وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾

(سورة النحل : 8)

أحياناً يركب الإنسان فرسه فيتباهى به، يركب فرسه لا لينتقل من مكان إلى مكان، بل ليظهر أمام
الناس بهذه الزينة .

﴿ وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحٍ وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ السَّعِيرِ ﴾

(سورة الملك)

فكلمة (زينة) في السماء وفي الأرض، تعني أن الجمال مستهدف من الله عز وجل، كأن الله يحب العبد النظيف، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :

((إِنَّكُمْ قَادِمُونَ عَلَى إِخْوَانِكُمْ فَأَصْلِحُوا رِحَالَكُمْ، وَأَصْلِحُوا لِبَاسِكُمْ حَتَّى تَكُونُوا كَأَنَّكُمْ شَامَةٌ فِي النَّاسِ، فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفُحْشَ وَلَا التَّفَحُّشَ))

[أبو داود عن سهل بن الحنظلية]

كأن الله سبحانه وتعالى يحب من العبد أن يكون مطهراً، أو طاهراً نظيفاً ذا رائحة طيبة، هندامه حسن، ثيابه أنيقة، عندما أقول : أنيقة فلا أعني غالية الثمن، لا والله، إذا اشتريت ثياباً فاجعلها مقبولة، سيدنا عمر نهى عن لبستين، نهى عن لبسة مهجورة، ونهى عن لبسة مشهورة، فكلمة :

﴿ وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّاهَا لِلنَّاظِرِينَ ﴾

منظر السماء منظر بهيج، منظر جميل، منظر ممتع، هذه المتعة مستهدفة من قبل الحق جلّ وعلا .

لماذا حياتك فيها فوضاؤها المسلم ؟

إذاً: لعلك عرفت لماذا يعيب الكفار على المسلمين فوضوية محلاتهم التجارية، لماذا لا يكون محلك التجاري منظماً، مرتباً، نظيفاً، فيه نظام، وفيه توزيع نوعي للبضاعة ؟ كما عرفت أيضاً لماذا يعيب الكفار على المسلمين بيوتهم غير المرتبة؟ فالترتيب والتنظيم والتزيين في الحدود المعقولة هذا من واجبات المسلم .

﴿ وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّاهَا لِلنَّاظِرِينَ وَحَفِظْنَاهَا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ(17) إِلَّا مَنْ اسْتَرَقَ السَّمْعَ فَاتَّبَعَهُ شِهَابٌ مُبِينٌ ﴾

﴿ وَحَفِظْنَاهَا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ(17) إِلَّا مَنْ اسْتَرَقَ السَّمْعَ فَاتَّبَعَهُ شِهَابٌ مُبِينٌ ﴾

طبعاً هذا من اختصاص الله سبحانه وتعالى شؤون السماء، وشؤون الملائكة، وشؤون الجن، هذا شيء لا نعرفه إلا بالقدر الذي ذكره الله لنا فيه .

مثلاً: في الكون قال تعالى :

﴿ وَالشَّمْسُ وَضُحَاهَا(1) وَالْقَمَرُ إِذَا تَلَّاهَا ﴾

(سورة الشمس)

لكن الكون فيه مجرات أخرى، فيه درب التبانة، فيه المرأة المسلسلة، فيه مجرة ماجلان، هذه لم تذكر، الله عز وجل ذكر شيئاً، وترك لك بقية الأشياء، ذكر لك آية على وجه المثال لا على سبيل الحصر .

﴿ قُلْ أَنْظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا تُغْنِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾

(سورة يونس 101)

أمرك أن تنظر ماذا في السماوات والأرض، ذكر الزيتون، وذكر النخل، وذكر الرمان، ولم يذكر التفاح، مثلاً، هل أنت مكلف أن تفكر في التفاح؟ نعم .

﴿ فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ ﴾

(سورة عبس)

في الكون ذكر لنا الله شيئاً، وترك لنا الأشياء، ذكر لنا هذا الشيء لا على سبيل الحصر، بل على سبيل المثال، لكنه في شؤون الغيب الذي ذكره هو المصدر الوحيد لمعرفة ما في السماوات والأرض، هذه شؤون مغيبة عنا، مصدرها الخبر الصادق،

﴿ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا ﴾

(سورة النساء : 87)

الشهب :

الشهب لها تفسير علمي لا يتناقض مع التفسير القرآني، كوكب هس انتهت حياته، وخرج من مداره، وصل إلى جو الأرض، فاحتكاكه بطبقة الهواء جعلته يتشهب، ثم يتلاشى، هذا التفسير العلمي للشهب . والعلماء فرقوا بين الشهب والنيازك، إن النيزك تصل كتلته إلى الأرض، بينما الشهاب يتشهب، ويتلاشى في جو السماء، ولا يصل منه شيء إلى الأرض، إن وصل فهو نيزك، وإن لم يصل فهو شهاب، هذا التفسير العلمي يتكامل مع التفسير الديني، كالزلازل مثلاً، ربنا عز وجل قال :

﴿ فَجَعَلْنَا عَلَيْهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ ﴾

(سورة الحجر : 74)

يعني أن الله عز وجل أهلك قوم لوط بهذه الطريقة، لكن الزلازل له تفسير علمي، والتفسير العلمي يتكامل مع التفسير الديني .

الجن يمنع عنهم بلوغ أخبار السماء :

ربنا عز وجل فيما يبدو من هذه الآيات ذكر أن الشياطين شياطين الجن والإنس، بل شياطين الجن على وجه الخصوص محظور عليهم أن يصلوا إلى السماء، مجال عملهم الأرض، أما السماء فموطن

الملائكة، والملائكة من نوع، والجن من نوع آخر، لذلك لا يسمح للجن أن يصلوا إلى السماء، فيسترقوا السمع، الله عز وجل جعل السماء محفوظة من أن يصل الجن إليها، وبما أن الجن مخلوقات تتميز بسرعة الحركة، فقد تحدى الله عز وجل الجن والإنس فقال :

﴿ يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ إِنَّ اسْتِطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانفُذُوا لَا تَنْفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ ﴾

(سورة الرحمن)

بدأ بالجن في هذه الآية، لأنها أقدر على خرق السماوات والأرض، وحينما قال الله عز وجل :

﴿ قُلْ لَنْ أَجْتَمَعَتِ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾

(سورة الإسراء)

بدأ بالإنس في آية الإسراء، لأنها أقدر على صياغة اللغة .

إذاً: الجن لهم طبيعة، هذه المخلوقات لها طبيعة تتحرك بموجبها بسرعة، قال تعالى :

﴿ قَالَ عَفْرَيْتُ مِنَ الْجِنِّ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ ﴾

(سورة النمل)

يبدو أن الجن لو أراد أحدهم أن يصعد إلى السماء ليسترق السمع، وليعرف أسباب الوحي، وأسرار الملائكة، ومهمات الملائكة لما استطاع، لأن هذا ممنوع عنه، و لو أنه حاول لأتبعه شهاب ثاقب وأحرقه، العلماء قالوا : هذا الشهاب يتبعه، وقبل أن يحاول، قيل أن يستمع، وبعضهم قال : بعد أن يستمع، بعضهم قال : هذا الشهاب يميته، وبعضهم قال : بل يحرقه، على كلٍ لا نملك في هذا الموضوع إلا هذه الآيات المحدودة التي ذكرها الله عز وجل .

﴿ وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَرَازِبَاتٍ لِّلنَّاظِرِينَ (16) وَحَفِظْنَاهَا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ رَّجِيمٍ(17) ﴾

معنى : رجيم

ومعنى رجيم بمعنى مرجوم، وزن فعيل في اللغة بمعنى مفعول، تقول : جريح بمعنى مجروح، قتيل بمعنى مقتول، فهذا الشيطان رجيم بمعنى مرجوم، ومعنى مرجوم أي : مبعد عن حضرة الله سبحانه وتعالى .

﴿ كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ ﴾

(سورة المطففين)

أكبر عقاب يناله الإنسان المسيء أن يطرد من رحمة الله، أن يبعد عن ذات الله المقدسة، البعد هو الشقاء، والقرب هو النعيم، فذلك هذا الشيطان رجيم، أي : مرجوم، أي : مبعد عن الله سبحانه وتعالى، وكفى بهذا شقاءً للشيطان .

﴿ وَحَفِظْنَاهَا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ(17) إِلَّا مَنْ اسْتَرَقَ السَّمْعَ فَاتَّبَعَهُ شِهَابٌ مُبِينٌ(18)﴾

إن حاول أحد الجن أن يسترق السمع حينما يسمع إلى الملائكة الأعلى والملائكة الذين أكلهم الله بمهمات هذه المهمات لا يستطيع الجن أن يسمعوا إليها، لو فعلوا ذلك لأتبعهم شهاب مبین فأحرقهم .

مسالك اليقين أربعة :

إن مسالك اليقين أربعة مسالك، مسلك اليقين الحسي، ومسلك الاستدلال العقلي، ومسلك اليقين الإخباري، ومسلك الإشراق الروحي، فاليقين الإخباري هذا مسلك صحيح، فأنا أو من بالجن والملائكة، وأن هذه الشهب حينما يصعد أحدهم إلى السماء يأتيه شهاب فيحرقه، من خلال اليقين الإخباري الذي أخبرني الله به في هذا الموضع، وفي مواضع أخرى من كتاب الله .

لا تنسوا أن من هذه الأبراج برج العقرب يشبه العقرب تماماً، وأن في هذا البرج نجماً أكثر تألقاً، وأميل إلى اللون الأحمر سماه علماء الفلك قلب العقرب، وأن قلب العقرب قدر علماء الفلك حجمه بحجم الأرض والشمس مع المسافة بينهما .

﴿ وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَرَئِيهَا لِلنَّاظِرِينَ (16) وَحَفِظْنَاهَا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ(17) إِلَّا مَنْ

اسْتَرَقَ السَّمْعَ فَاتَّبَعَهُ شِهَابٌ مُبِينٌ(18)﴾

هذا هو البديل لطلب المعجزات من النبي عليه الصلاة والسلام.

﴿ وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَابًا مِنَ السَّمَاءِ فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ(14) نَقَالُوا إِنَّمَا سَكِرْتُمْ أَبْصَارُنَا بِنُحْنُ قَوْمٍ

مَسْحُورُونَ(15)﴾

هذا الطريق مسدود، ذا الذي تعرض عليه المعجزة، وهو لا يريد الهدى فلن يؤمن بها، رغم عرضها عليه، لكن الذي يريد أن يهتدي فإن في الأرض والسماء آيات لا تعد ولا تحصى للموقنين . لو تركنا السماء بنجومها، وكواكبها، وأبراجها، وشمسها، وقمرها، ومذنباتها، وكويكباتها، ومجراتها الكبيرة، والسماء بتقوبها السوداء، هذا الموضوع الذي كشفه العلماء حديثاً، مناطق ذات ضغط يفوق حدّ التصور، لو أن الأرض بأكملها دخلت في هذا الثقب الأسود لأصبحت بحجم البيضة مع بقاء وزنها كما هو .

بعضهم قال : البروج هي مطلق النجوم، وبعضهم قال : البروج مواقع النجوم، والله سبحانه وتعالى يقول :

﴿ فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ (75) وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ (76) ﴾

(سورة الواقعة)

مواقع النجوم هي المسافات البينية بين النجوم، بعض المسافات ثلاثة عشر ألف مليون سنة ضوئية، أحدث مجرة اكتشفت اليوم تبعد عنا ثلاثة عشر ألف مليون سنة ضوئية، علماً بأن الضوء يقطع في الثانية الواحدة ثلاثمئة ألف كيلو متر في الثانية، فالقمر يبعد عنا ثانية ضوئية واحدة، والضوء يجتاز المسافة بين الأرض والقمر في ثانية، الشمس في ثماني دقائق، قطر المجموعة الشمسية ثلاث عشرة ساعة، أقرب نجم إلينا نجم القطب أربعة آلاف سنة ضوئية، وهناك مجرات تبعد عنا مسافة مليوني سنة ضوئية، وهناك مجرات تبعد عنا ثلاثة عشر ألف مليون سنة ضوئية، والله هذه آية كبيرة، إذا :

﴿ فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ (75) وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ (76) ﴾

ما من نجم في السماء إلا وله فلك يسير خلاله، لذلك ربنا عز وجل وصف السماء بوصف جامع مانع فقال :

﴿ وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ (11) ﴾

(سورة الطارق)

الرجع يعني أن أي نجم يدور دورة، ويرجع إلى مكان انطلاقه، ثم يدور دورة، وهكذا، وفي عام 1910 رأى سكان الأرض مذنب هالي، وفي عام 1986 رأى سكان الأرض مذنب هالي مرة أخرى، إذاً هذا المذنب ينطلق من مكان ما ليرجع إلى المكان نفسه .

فمعنى مواقع النجوم أي: الأماكن المتعددة التي تمر بها خلال دورتها حول أحد الكواكب .

الآن إذا انتقلنا من السماء إلى الأرض نقرأ قول الله تعالى :

﴿ وَالْأَرْضِ مَدَنَّاهَا ﴾

الخطوط على الأرض كلها ممددة :

يا سبحان الله! الخطوط كلها على الأرض ممددة، أينما سرت رأيت الطريق أمامك مفتوحاً، لو سرت إلى جهة الغرب رأيت البحر، ولو ركبت سفينة لوجدت الطريق مفتوحاً تصل إلى أوربة، ثم إلى أمريكا، وبعدها تصل إلى المحيط الهادي، ثم إلى شرق آسيا، الطرق كلها ممددة، ولا تتوافر هذه الخاصة إلا في شكل هندسي واحد، وهو الكرة، أي شكل هندسي آخر الخطوط تنتهي، ففي متوازي المستقيمات تنتهي الخطوط، في الموشور تنتهي الخطوط، في الأسطوانة تنتهي الخطوط، في القطع الناقص تنتهي الخطوط، في الهرم تنتهي الخطوط، أما في الكرة فالخطوط كلها متصلة، وهي الشكل الهندسي الوحيد الذي لا تنقطع فيه الخطوط، وربنا عز وجل قال :

﴿ وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا ﴾

بعض العلماء - سامحهم الله - ظنوا أن هذه الآية ردّ على من زعم أن الأرض كروية، هكذا قرأت في التفسير، مع أن هذه الآية برهان على أن الأرض كرة .

﴿ وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ ﴾

الجبال من آيات الله العظيمة :

هذه الجبال آية من آيات الله سبحانه وتعالى، والأرض التي تدور حول الشمس بسرعة ثلاثين كيلو متراً في الثانية .

﴿ وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ صُنِعَ اللَّهُ الَّذِي أَنْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ ﴾

(سورة النمل)

الآن المجموعة الشمسية تدور حول نفسها في المجرة بسرعة 250 كم/ثا، الشمس، والأرض، وعطارد، والزهرة، والمريخ، والمشتري، وزحل، ولبيبتون، وبلوتون، وكل الكواكب هذه تشكل المجموعة الشمسية، وهي كتلة واحدة تدور حول مركزها في المجرة بسرعة 250 كم/ثا .
درب التبانة مجرتنا الضخمة هذه المجرة تسير في الفضاء الكوني بسرعة 240,000 كم/ثا، سرعة المجرات تقترب من سرعة الضوء، الأرض ثلاثين كيلو متراً في الثانية، الشمس والمجموعة الشمسية

250 كم/ثا، المجرة 240,000 كم/ثا، هذه حقائق تدرس في الجامعات على أنها مسلمات، هذه أشياء تجاوز العلم البحث في صحتها، ولكن هذا السكون الدائم من لطف الله عز وجل، وكذلك الاستقرار والجران هي هي، بينما الحركة مذهلة .

الجبال ضمان لاستقرار الأرض :

قال بعض العلماء : هذا بفضل الجبال، فمثلاً العجلة إذا حركتها بسرعة اضطربت، فتوزن بميزان دقيق، ويوضع في بعض الأماكن قطعة من الرصاص لئلا تضطرب على السرعة العالية، الجبال التي جعلها الله على الأرض رواسي من أجل أن تدور الأرض حول نفسها، وحول الشمس والشمس، حول مركز المجرة والمجرة في الفضاء الكوني أربع دورات، كل هذه السرعات، وأنت تجد أن المحصلة سكون تام بفضل هذه الجبال التي وضعت في أماكن محددة، وبحجوم محددة، بحيث يصبح المال استقراراً

﴿ وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ ﴾

تأمل في قوله : ألقينا

أما كلمة (ألقينا) فهل يلقي الجبل إلقاءً ! يا سبحان الله، معظم الجبال البركانية تشكلت من إلقاء الحمم من أعماق البراكين، كلمة (إلقاء) تعني أن الجبل ألقى إلقاءً، وهذا ينطبق على الجبال البركانية والرسوبية .

﴿ وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ ﴾

هذا تفسير .

الجبال أوتاد :

الجبال أيضاً ذكرها الله عز وجل في آيات أخرى بأنها أوتاد، لأن الأرض مجموعة طبقات، وهذه الطبقات متفاوتة في الكثافة، لو أن كل طبقة في الأرض دارت فإن لها عطالة خاصة، ومعنى عطالة أي: إنها تستجيب للحركة بسرعة بحسب كثافتها، فلولا الجبال لاضطربت الأرض في دورانها، أما الجبال فقد جعلها الله أوتاداً، فالجبل يربط طبقات الأرض بعضها ببعض، فيجعلها كتلة واحدة، والجبال كالبيضة التي تديرها، فهي قبل أن أسلقها تضطرب، لأن فيها بياض، وفيها صفار، وفيها قشر، كل طبقة في البيضة لها عطالة خاصة، فإذا أدرتها تضطرب، وتقع، أما إذا سلقها فإنها تدور كالبلبل، وهذا دليل أنها تجانست .

فهذا الجبل كالوتد، يجعل طبقات الأرض كلها متجانسة،

﴿ وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ الْجِبَالِ أَكْنَانًا ﴾

(سورة النحل : 81)

الجبال مصدّات للريح :

أي : مصدات للرياح، الله عز وجل جعل مناطق دافئة بفضل جبال تكون كالمصدات، فتمنع الرياح الشرقية أو الغربية، في بعض المنافذ على البحر كحمص مثلاً الأشجار كلها مائلة بسبب النافذة التي فتحت بين سلاسل الجبال، فالجبال جعلها الله عز وجل أكناناً كالمصدات، في يوم شديد الرياح الغربية اصعد إلى جبل قاسيون، وانتقل إلى الجهة الشرقية منه ينعدم الهواء كلياً .

ربنا عز وجل عن طريق الجبال نوع مناخات الأرض، الجبل مصد، ففي سفح الجبل منطقة دافئة، وفي قمته منطقة باردة، يقصد الناس الجبال في أيام الصيف، ويسكنون في سفوحها في أيام الشتاء .

الجبال خزّان للمياه :

والجبال أيضاً جعلها الله عز وجل خزانات للمياه، لا أدري إلى أين تنتهي حدود نبع الفيحة، بعضهم قال : إلى مشارف حمص شمالاً، وإلى سيف البادية شرقاً، وإلى أواسط لبنان غرباً، وبعضهم قال : يمتد جوف هذا النبع إلى مناطق شاسعة شرقاً، قد تصل إلى إيران، من جعلها خزانات لهذا الماء الذي نستعمله كل يوم ؟ فربنا عز وجل قال :

﴿ وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَّوْزُونٍ ﴾

وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَّوْزُونٍ

كلّ شيء موزون :

والله الذي لا إله إلا هو كلمة (موزون) أردت أن أفصل فيها، ولكن والله هذه الكلمة لا يكفي عام بأكمله كي يفصل في هذه الكلمة، شيء موزون، موزون مع ماذا؟
النبات موزون، سكان الأرض كم طنّاً من القمح يحتاجون في العام، الله عز وجل ينبت لهم من القمح ما يكفي حاجتهم .

القمح موزون :

هذا القمح مادة أساسية في الحياة، معنى موزون قال العلماء : هناك ثلاثة عشر ألف نوع من القمح، يجب أن ينبت في الجبال، وفي السهول، وفي السواحل، وفي أعماق الأرض، وفي المنطقة الحارة

والباردة والمعتدلة، وفي كل أنحاء الأرض، لأنه غذاء أساسي للإنسان، لذلك فالله عز وجل جعله بكميات تكفي حاجة سكان الأرض، وجعله بأنواع متنوعة تغطي كل المناطق المختلفة .

القمح كما يقول بعض العلماء: فيه العجب العجاب، لو أخذنا قمحة لها غلاف خارجي يزن تسعة بالمئة من وزنها، ولها غلاف داخلي يزن ثلاثة بالمئة من وزنها، وفي داخل القمح مادة نشوية تزن خمسة وثمانين جزءاً من المئة من وزنها، والرثيم يزن أربعة بالمئة من وزنها، أودع الله في قشرة القمحة الخارجية فيتامين (ب1، ب2، ب6) وفيتامين (o)، وأودع في القشرة الخارجية الفسفور والحديد والكالسيوم واليود واليوتاسيوم والصوديوم والمغنيزيوم، ونحن متحضرون ننزع عن القمحة قشرتها، ونأكل اللب فقط وهو النشا، والفائدة كلها في قشر القمحة.

﴿ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْزُونٍ ﴾

هذا الفيتامين من أجل تنشيط حركة الأمعاء، هذا الفيتامين من أجل قوة البصر، هذا الفيتامين من أجل ليونة الأوعية والشرايين، هذه النخالة ندعها، ونأخذ لب القمح، ونأكله، وهو كالغراء كما قال بعض الأطباء، ربنا قال :

﴿ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْزُونٍ ﴾

هذه القمحة متوازنة توازناً دقيقاً مع حاجة الإنسان، تحتاج إلى فيتامين ب1 من أجل حركة الأمعاء، تحتاج إلى فيتامين ب2 من أجل شبكية العين، تحتاج إلى فيتامين ب6 و فيتامين ب ب، وفيتامين o، والفسفور كغذاء للدماغ والأعصاب، كما نحتاج إلى الحديد غذاء لكريات الدم الحمراء، إلى الكالسيوم غذاء للعظام، إلى السليكون، إلى اليود غذاء للغدة الدرقية، لليوتاسيوم غذاء لبعض الغدد الصماء في الجسم، إلى الصوديوم غذاء لمصل الدم، إلى المغنيزيوم، هذا كله ندعه جانباً، ونأخذ لب القمح، ونأكله . هذا معنى موزون، أي : إن خالق الإنسان هو ذاته خالق القمح، فتركيب القمح يتناسب تناسباً دقيقاً معجراً مع تركيب الإنسان .

اللفت موزون :

اللفت على سبيل المثال لا على سبيل الحصر، أحد النباتات التي تحتوي على أكبر كمية من الكالسيوم، من يشكو ضعف وتقوس وهشاشة العظام فهذا النبات فيه أكبر كمية من الكالسيوم، وفيه كمية من المغنيزيوم تقيه الأورام السرطانية، وفيه أزوت ينقي الدم، ويحصن العضوية، وفيه بوتاسيوم يجنب العضوية تراكم الشحوم، وفيه زرنبيخ يسهم في تكوين الكريات البيض، وفيه فسفور يقوي الخلية العصبية، وأوراق اللفت غنية بالحديد والنحاس واليود وبالفيتامين A ,B,C، وعصير اللفت يسهل

تفتت الحصى في الكليتين، ومغلي اللفت يطهر المجاري التنفسية، ويقي من الدامل والخراجات والبثور الجلدية .

فربنا عز وجل خلق اللفت موزوناً، وهذه الآية تفسرها لو اطلعت على كتب الطب كلها أو كتب الأغذية، ودرست كل غذاء ماذا يحتوي لكان هذا الموضوع تفسيراً متواضعاً لهذه الآية :

﴿ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْزُونٍ ﴾

التمر موزون :

التمر مثلاً فيه فيتامين A، هذا يساعد على نمو الأطفال، وعلى ازدياد أوزانهم، ويحفظ رطوبة العين وبريقها، ويعين على الرؤية الصحيحة، وبقي العمى الليلي، فيه مادة تترسب على الشبكية، هذه المادة تقي العين من العمى الليلي، وهذا الفيتامين يقوي الأعصاب، ويساعد على السكينة والدعة، كله من هذا الفيتامين الموجود في التمر .

لا أستطيع إلا أن أورد بعض الأمثلة، أكثر كلمة تثير الإعجاب كلمة (موزون)، هذا النبات الذي خلقه الله لنا وصفه بأنه موزون، يتناسب تناسباً دقيقاً جداً مع خلق الإنسان وبنيته وحاجيته. في مصر، وفي بعض القرى أقام طبيب ثلاث سنوات، ولم يجد حالة واحدة من أمراض القلب، تعجب، فإذا هذه القرية تأكل الترمس، وعندما حلل العلماء هذا النبات وجدوا فيه مادة مميعة للدم .

الملوخية الغذاء الوحيد المرمم للغشاء المخاطي في الأمعاء .

الثوم خافض للضغط مطهر للأمعاء .

البصل موزون :

البصل، قال أحد الباحثين إنه أجرى دراسة على مئة وخمسين صنفاً للنباتات القاتلة للجراثيم، فتبين له أن البصل في مقدمة هذه النباتات، يفوق التفاح في قيمته الغذائية، فيه كالسيوم عشرين ضعفاً عما في التفاح، فيه فسفور ضعفاً ما في التفاح، فيه حديد وفيتامينات وكبريت، فيه مادة تعادل الأنسولين، هذه المادة الهامة جداً في الوقاية من أمراض السكر، في البصل مقوية للقلب وللدورة الدموية، فيه مادة مدرة للبول والصفراء، فيه مادة ملينة للأمعاء، فيه مادة مقوية للقدرة الحيوية، شيء موزون، البصل موزون هكذا طبيعة تركيبه، الثوم موزون، السبانخ فيها حديد، العدس فيه حديد، الترمس فيه مادة مميعة للدم، الملوخية فيها مادة مرممة للغشاء المخاطي في الأمعاء، هذا غيض من فيض .

لو أردت أن أعرض ما في هذا الموضوع لاستغرق تدريسه سنوات، كل مادة بنيتها تركيبها فوائدها الغذائية والعلاجية فسبحان الله ! .

فكلمة (موزون) لو أن العلماء في الأرض اجتمعوا على دراسة النباتات واحداً واحداً وتحليلها ما زادوا بعد كل هذه الدراسات على أنهم فسروا هذه الكلمة .

﴿ وَأَنْبِتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْزُونٍ ﴾

الحليب موزون :

الحليب موزون، حليب البقر موزون، حليب الغنم موزون، التفاح موزون، هذا المعنى الأولي، معنى بنية الفاكهة أو النبات .

معنى آخر : الحجم الكلي موزون، لو كانت كل شجرة من أشجار التفاح تثبت خمس تفاحات، فهذا الإنتاج غير موزون، ولا يتناسب مع حجم الأرض، فكلمة (موزون) تعنى كمية الفاكهة، وتعني أيضاً نوعية الفاكهة، هناك عنب للعصير، وعنب يكون فاكهة نفيسة جداً، وعنب للزبيب، وعنب بلا بزر، أنواع متنوعة، ما من نوع من أنواع الفاكهة والخضار إلا ولها أنواع متنوعة، البصل الأبيض طيب، لكن لا يُؤمّن، هذا يؤكل مباشرة، أما للتموين فالأصفر هو الأجود، هذه المعلومات تحتاج إلى خبراء .
كلمة (موزون) كم من أنواع فاكهة الموجودة ؟ كم نوعاً من الخضراوات ؟ كم نوعاً من المحاصيل ؟ كميات الأنواع وعدد الأنواع، التفاحة مثلاً الشكل موزون، واللون بهيج جذاب، الحجم موزون، لو كانت التفاحة بحجم البطيخ لأكلنا قسماً واسودّ الباقي، لو كان البطيخ بحجم العنب و نصفها قشر لكان هناك إشكاليات كثيرة، العنب له حجم، والكمثرى لها حجم، والقمح له حجم موزون، لو كان القمح ينضج تباعاً كبقية الفواكه لعدّ غير موزون، إذاً المحاصيل من القمح ونحوه تنضج في يوم واحد، والفواكه تنضج تباعاً، وهذا حقاً شيء موزون، فسبحان الله الذي أحسن كل شيء خلقه، وقدره تقديراً ! .

الشيء الذي يخزن أغلب الظن ينضج في يوم واحد، والشيء المستهلك ينضج تباعاً، فكلمة (موزون) يمكن أن تفكر فيها لسنوات، هذا الطعام الذي تأكله كله موزون .

﴿ وَأَنْبِتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْزُونٍ ﴾

عندنا موضوعات عن التمر والثوم والبصل والفجل، وموضوعات عن بعض الفواكه والثمار، والمعلومات لا يتسع لها درس في المسجد ولا ساعة من ساعات دروس التفسير، لكن المؤمن يمسك بطرف الخيط يتابع البحث، لو أتيح لك أن تقرأ عن الفواكه والثمار فلا تتردد، اقرأ تعرف المزيد مما يعنيه قوله تعالى :

﴿ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ وَمَنْ لَسْتُمْ لَهُ بِرَازِقِينَ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ(21) وَأَرْسَلْنَا الرِّيَّاحَ لَوَاقِحَ فَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ وَمَا أَنْتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ(22) وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَنَحْنُ الْوَارِثُونَ ﴾

هذه الآيات إن شاء الله تعالى نحاول أن نفسرها في الدرس القادم.